نبذ القرآن الكريم لليأس والقنوط في جميع أحوال الإنسان (الابتلاء بتكرار الذنب بعد التوبة– إنموذجًا)

أ.سامي عبد العزيز عمر العفيصان

باحث دكتوراه قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية بماليزيا

د. المتولي علي الشحات بستان

الأستاذ المشارك في قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية بماليزيا.

The Holy Qur'an's rejection of despair in all human conditions: affliction by repeating sin after repentance as a model

Mr. Sami Abdulaziz Omar Alofysan

A Ph.D. Student, Department of the Holy Qur'an Sciences, Faculty of Islamic Sciences, Al-Madinah International University, Malaysia

Dr. Samir Saeed Hussain Alhasri

Associate Professor, Department of the Holy Qur'an Sciences, Faculty of Islamic Sciences, Al-Madinah International University, Malaysia

ملخص البحث:

يهدف البحث للتأكيد على أنَّ القرآن الكريم هو المصدر الأول لغرس الأمل في النفوس والوقاية من اليأس والقنوط مهما كانت الظروف والأحوال، ومعالجة القرآن الكريم لموضوع الابتلاء بتكرار الذنب بعد التوبة لكي لا يصل لمرحلة اليأس، وقد اتبع الباحثان المنهج الاستقرائي والتحليلي والاستنباطي حيث يقوم الباحثان باستقراء ما يدخل من الآيات الشريفة تحت موضوع البحث، ثم تحليلها وتصنيفها إلى موضوعات، ليتم دراستها تحت كل موضوع واستنباط المعاني والدلالات من خلال الاطلاع على أقوال علماء التفسير، وقد توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج، منها: أن الإسلام يمنع من اليأس والقنوط مهما كانت الأسباب والأحوال التي يمر بها الإنسان، وبتوصيات، منها: عمل المزيد من الدراسات القرآنية لدراسة حالات جالبة لليأس عالجها القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية:

الأمل – اليأس – القنوط – الابتلاء – التوبة.

Abstract:

The article aims to confirm that the Holy Qur'an is the primary source of instilling hope in the souls and preventing despair, however the reasons. The Holy Qur'an treats the affliction of repeating the sin so as not to reach despair. The study employs the inductive, analytical and deductive approach, extrapolating the Holy verses under the topic of the research, analyzing and classifying them into topics. This is because each should be studied under each topic, eliciting the meanings and connotations by considering scholars of interpretation's opinions. The study concludes with a number of findings, the most important of which are: Islam rejects despair, however the reasons. The possibility of repentance is always open even if the sin is repeated. It is recommended that further Qur'an studies should be conducted to study cases that bring despair and got treated by the Holy Qur'an.

Key words: Hope, despair, affliction, repentance

المقدمة:

الحمد لله الكريم الوهاب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد أنزل الله تعالى القرآن رحمةً للناس وتبيانًا لكل ما يحقق لهم سعادة الدنيا والآخرة، ومن ذلك ما جاء في القرآن الكريم من آيات كثيرة تبث الأمل في النفوس، وتنبذ اليأس والقنوط، وذلك ما يهدف الباحث للحديث عنه، من خلال تقديم دراسة موضوعية للتأكيد على أنَّ القرآن الكريم هو المصدر الأول لغرس الأمل في النفوس والوقاية من اليأس والقنوط مهما كانت الأسباب، ومعالجة القرآن الكريم لحالات جالبة لليأس (الابتلاء بتكرار الذنب بعد التوبة، -إنموذجًا-)، والبحث مستل من بحث جاري إعداده من الباحث للحصول على درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن بعنوان (منهج القرآن الكريم في بث الأمل – دراسة موضوعية).

إشكالية البحث:

أصيب كثير من الشباب بتعلق قلوبهم بالمواقع الإباحية بسبب الانفتاح الكبير في عالم الانترنت وسهولة الوصول لأي شيء سواء من الأمور النافعة أو الضارة، ولكن الشاب المسلم الذي في قلبه نور الإيمان، لا يلبث إلا أن يندم على مشاهدة المواقع الإباحية، فيتوب إلى الله تعالى، ولكنه بعد فترة تختلف مدتها بمدى إدمانه المواقع الإباحية، يعود إلى الذنب، ثم يندم ويتوب، فيأتيه الشيطان يقنطه من رحمة الله تعالى وأن توبته توبة كاذبة وأن استغاثته بالله تعالى ليعافيه من بلائه وضعفه لم يستجيب الله له، فسيطر اليأس والتشاؤم على نفوس الذين غفلوا عما جاء في القرآن الكريم من نبذ لليأس وغرس للأمل في النفوس، فضعف لديهم جانب حسن الظن بالله تعالى ورجاء فضله ورحمته عز وجل، وتسبب في استسلامهم لضعفهم وشهواتهم وعدم تكرار التوبة والإنابة إلى الله تعالى، إضافة الى تأثير ذلك على باقي عباداتهم وطاعتهم لله تعالى .

ولذلك جاء هذا البحث ليعالج مشكلة اليأس وضعف الأمل لدى بعض المسلمين المبتلين بتكرار الذنب بعد التوبة منه، مع التركيز على الابتلاء بفتنة النساء.

أسئلة البحث:

١. كيف حذر القرآن الكريم من اليأس والقنوط؟
٢. ما هي بعض صور الأمل فيما يحصل من ابتلاءات؟
٣. كيف يقي القرآن الكريم من ابتلي بتكرار الذنب بعد التوبة من الوقوع في اليأس والقنوط؟

أهداف البحث:

١. بيان نبذ القرآن الكريم لليأس والقنوط.
٢. ذكر بعض جوانب الأمل فيما يحصل للإنسان من ابتلاءات.
٣. بيان كيفية وقاية القرآن الكريم من ابتلي بتكرار الذنب بعد التوبة من اليأس والقنوط.

أهمية البحث:

١. أهمية أن يعلم كل مسلم، بل وكل الناس، أن كتاب الله تعالى هو كتاب الأمل والتفاؤل، وأن من أراد السعادة والأمل الدافع للعمل فليُقبل على القرآن العظيم تلاوةً وتدبرًا وعملًا.
٢. كثرة الآيات في كتاب الله التي يحي الله بها القلوب والأرواح ويدعوها إلى الثقة بالله تعالى وما يتبعه من حسن الظن وتوقع للخير والأمل فيما عنده وعدم اليأس من رحمة الله، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝﴾ الشرح: ٥ - ٦، والآيات في هذا الباب كثيرة.
٣. ما يحدثه نقيض الأمل وهو اليأس والقنوط من القلق النفسي الذي قد يؤول بصاحبه إلى الأمراض النفسية الخطيرة.
٤. أهمية الأمل للمختصين للاستمرار في البحث عن علاج لمن ابتلوا بمشاهدة المواقع الإباحية.
٥. المساهمة في توفير مادة علمية تكون منطلقا لبناء تطبيقات الكترونية ودورات تربوية تبني الإيجابية والأمل والتفاؤل في نفوس النشء والشباب، نابعة من أعظم مصدر وهو كتاب الله تعالى.
٦. المساهمة في توفير مادة علمية رصينة للخطباء والدعاة وغيرهم للتحذير من اليأس والقنوط مهما كانت الحالات التي يمر بها المسلم.

الدراسات السابقة:

لم يجد الباحث دراسات متخصصة في موضوع عدم اليأس عند الابتلاء بتكرار الذنب بعد التوبة، وإنما دراسات ومؤلفات تتحدث عن الأمل والرجاء واليأس والقنوط وما يتعلق بذلك بصفة عامة، ومن ذلك:

١) رسالة دكتوراه بعنوان (الأمل والرجاء في القرآن الكريم) للدكتور (مُنجد مُحَمَّد رضوان أحمد أبو بكر)، وتم مناقشتها في جامعة اليرموك في الأردن، وقامت بطباعتها ونشرها دار النوادر اللبنانية عام ١٤٣٥هـ، تحدث فيه عن الأمل والرجاء وأنواعهما وبواعثهما وارتباطهم بالسنن الكونية والشرعية، ويلاحظ على الدراسة عدم التطرق لموضوع نبذ القرآن الكريم لليأس والقنوط، مع أهميته كمنهج مهم من مناهج القرآن الكريم في بث الأمل.

٢) رسالة ماجستير بعنوان (الخوف والرجاء في القرآن الكريم) للباحثة (سهاد تحسين إلياس دولة) جامعة النجاح الوطنية بفلسطين، عام ٢٠٠٧، منشورة في الشبكة العنكبوتية، ولقد ركزت الباحثة على موضوعي الخوف والرجاء، ولكن الرسالة لم تبحث بتوسع في منهج القرآن الكريم في بث معاني الرجاء في النفوس بما يحولها من اليأس إلى الرجاء فيما عند الله.

٣) كتاب (الخوف والرجاء في القرآن الكريم) للمؤلف (عبد الله اسود خلف الجوالي)، وقامت بطباعته ونشره دار الزمان بالمدينة المنورة عام ٢٠٠٣م الطبعة الأولى، وهو دراسة تحليلية لما يتعلق بالخوف والرجاء في القرآن الكريم وكيف يمكن الجمع بين الرجاء والخوف بتوازن، ولكنه لم يذكر جوانب كثيرة تتعلق ببث روح الأمل والرجاء في القرآن الكريم.

٤) كتاب (كيف تواجه اليأس في الحياة العملية والعلمية والعبادية والدعوية) تأليف الدكتور عبد الكريم الديوان، من إصدار مؤسسة سليمان الراجحي الخيرية، ولم يتم ذكر اسم المطبعة أو التاريخ، وهو كتاب يتحدث عن اليأس وكيف يمكن التغلب عليه، ومن أبرز الموضوعات التي تناولها :(أسباب اليأس، نتائج اليأس، كيف تواجه اليأس) وتحت كل مبحث من ذلك ذكر فقرات وفوائد.

٦) كتاب (صناعة الأمل) تأليف (عبد الحميد مُحَمَّد الدرويش)، طباعة ونشر دار المعارج بسوريا، عام ١٤٣٥هـ الطبعة الأولى، وفيه موضوعات متعددة باعثة للأمل في النفوس، ويربط في عدة مواضع بين الفكرة التي يذكرها وبين آيات من القرآن الكريم بسياق جميل، ولكن هناك الكثير جدا من الآيات الكريمة والموضوعات المرتبطة بها التي لم يتطرق لها المؤلف.

٧) كتاب (عيون الأمل) تأليف (طه ياسين)، طباعة ونشر دار القلم بدمشق، عام ١٤٢٩هـ الطبعة الأولى، وفيه موضوعات جميلة عن معاني الأمل والتحفيز لمواجهة التحديات والتحرر من اليأس، ولكن هناك الكثير من الموضوعات والآيات المرتبطة بموضوع الأمل وعدم اليأس لم يذكرها المؤلف.

منهج البحث:

يستخدم هذا البحث المنهج الاستقرائي(١) والتحليلي(٢) والاستنباطي(٣)، حيث سيقوم الباحث باستقراء ما يدخل من الآيات الشريفة تحت موضوع البحث، ثم تحليلها وتصنيفها إلى مواضيع، ليتم دراستها تحت كل موضوع واستنباط المعاني والدلالات من خلال الاطلاع على أقوال علماء التفسير .

حدود البحث:

١. الآيات الشريفة التي تناولت موضوع اليأس والقنوط.
٢. الآيات الشريفة المتعلقة بموضوع التوبة بشكل مباشر وغير مباشر.

إجراءات البحث:

١- الإفادة من المصادر والمراجع القديمة لأصالتها، وكذلك اللجوء إلى المصادر الحديثة عند تعذر الحصول على المطلوب من المصادر القديمة.

٢- عزو الآيات القرآنية لأرقامها وإلى سورها.

٣- تخريج الأحاديث وعزوها إلى مرجعها من كتب السنة، مع ذكر قول أهل العلم في درجتها ما أمكن، ما لم تكن في الصحيحين أو أحدهما.

تقسيمات البحث:

ينقسم البحث إلى مقدمة مبحثين:

المقدمة: ومنها إشكالية البحث، وأسئلته، وأهدافه، وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهجه وتقسيماته.

المبحث الأول: نبذ القرآن الكريم لليأس والقنوط، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: تعريف اليأس والقنوط والفرق بينهما.

المطلب الثاني: تحذير القرآن الكريم من اليأس والقنوط.

المطلب الثالث: أهمية الأمل وعدم اليأس.

المبحث الثاني: الابتلاء بتكرار الذنب بعد التوبة، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: سنة الابتلاء والأمل.

المطلب الثاني: مقومات الأمل رغم الابتلاءات.

المطلب الثالث: الابتلاء بتكرار فعل الذنب بعد التوبة (الفتنة بالنساء -أنموذجًا)

الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: نبذ القرآن الكريم لليأس والقنوط

المطلب الأول: تعريف اليأس والقنوط والفرق بينهما:

أ- معنى اليأس:

لغةً: الياء والهمزة والسين. كلمتان: إحداهما اليأس: قطع الرجاء. ويقال إنه ليست ياء في صدر كلمة بعدها همزة إلا هذه. يقال منه: يئس ييأس وييئس، على يَفْعَل وَيَفْعِل، والكلمة الأخرى: ألم تيأس، أي ألم تعلم. وقالوا في قوله تعالى: ﴿... أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ... ﴾ الرعد: ٣١ ، أي أفلم يعلم. (٤)

واليأس: هو القنوط، ضد الرجاء، أو قطع الأمل. (٥)

اصطلاحًا: القطع على أن المطلوب لا يتحصل لتحقيق فواته. (٦)

ب-معنى القنوط:

لغةً: الإياس من الخير، ويقال: شر الناس الذين يقنطون الناس من رحمة الله، أي: يؤيسونهم.[٧]

وقيل: أشد اليأس من الشيء[٨].

اصطلاحًا: هو الإياس من الرحمة، وهو ثمرة اليأس[٩]، وقيل : هو استبعاد الفرج واليأس منه، وقيل هو استصغار لسعة رحمة الله عزّ وجلّ ومغفرته، وذلك ذنب عظيم وتضييق لفضاء جوده تعالى[١٠].

وبناء على ما سبق: فمعنى اليأس والقنوط يدور حول عدم توقع الخير، وتصور عدم حصول المطلوب، وأنه لا يمكن أن تتغير أحوال الإنسان أو الأحوال غير المرغوبة المحيطة به أو بغيره، أو تغير عاداته السلبية، وذلك كله ضد الأمل بالله تعالى وفضله العظيم، وإن خطورة هذه المعاني تؤكد أهمية تحلي المسلم بالأمل وحسن الظن بالله ورجاء رحمته وفضله سبحانه، وأن لا ييأس ولا يقنط مهما كانت الظروف والأسباب.

ج-الفرق بين اليأس والقنوط:

اليأس من صفة القلب، والقنوط أن يظهر آثار اليأس في الوجه والأحوال الظاهرة[١١]، والقنوط أشد مبالغة من اليأس[١٢].

المطلب الثاني: تحذير القرآن الكريم من اليأس والقنوط:

حذر القرآن الكريم من اليأس والقنوط، وفي ذلك تأكيد على أهمية ووجوب حسن الظن بالله تعالى، ودعوة للأمل بما عند الله من الرحمة والكرم واللطف، وعدم الاستسلام لأي باعث على اليأس والقنوط مهما كانت الظروف المحيطة بالإنسان، فالله سبحانه وتعالى عزيز قدير لا يعجزه شيء، وهذا التحذير من اليأس والقنوط هو من رحمة الله تعالى بعباده، الذي يعلم ضعفهم وسهولة وقوعهم في اليأس والقنوط، ومما جاء في ذلك:

١) قال تعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ الزمر: ٥٣، ففي هذه الآية العظيمة، يُخبر الله تعالى عباده الذين أسرفوا على أنفسهم بالمعاصي، بسعة رحمته وعظيم كرمه، فينهاهم عن أن ييأسوا من رحمته جل وعلا، رغم كثرة ذنوبهم ومعاصيهم، ففتح لهم بذلك أبواب رحمته وفضله، ليدخل منها من كان راجيا رحمة ربه، كما قال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ النساء: ١١٠، وهذه الرحمة الواسعة التي وسعت العاصين باب أمل لجميع عباد الله، ودافع لمنع أو إيقاف أي وساوس يأس أو قنوط من رحمة الله.

٢) عندما جاءت الملائكة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ببشرى الولد وهو في سنٍ كبير، قالوا له ما ذكره الله تعالى: ﴿...إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾﴾ الحجر: ٥٣، فأبدى تعجبه مما بشروه به، فقال لهم: ﴿ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ الحجر: ٥٤ ؛فردت عليه الملائكة في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ الحجر: ٥٥ ، أي بشرناك باليقين الذي لا خُلف له، فلا تكن من الآيسين من ذلك، فإنه وعد الله تعالى القادر على أن يخلق بشرًا من غير أبوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر، وكان استعجاب إبراهيم عليه السلام باعتبار العادة دون القدرة؛ ولذلك رد عليهم في قوله تعالى :﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ الحجر: ٥٦، أي : ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون المخطئون، الذين لا يعرفون سعة رحمة الله تعالى وكمال علمه وقدرته، إنما استبعدت الولد لكبر سني لا لقنوطي من رحمة ربي[١٣]، فالقانط من رحمة الله ضال أعظم الضلال لإساءته الظن بالله الرحيم اللطيف المحسن ﷻ، الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

وأما المحسن ظنه بربه، فلا ييأس ولا يقنط مهما أحاطت به الشدائد، ومهما ادلهمت حوله الخطوب، ومهما غام الجو وتلبد، بل يظل يرجو رحمة ربه مؤملا بعظيم فضله سبحانه، واثقا بقدرته على كل شيء.

٣) ما ذكره الله تعالى عن قول يعقوب عليه السلام لأبنائه: ﴿ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ يوسف: ٨٧، فأمر أبناءه بالرجوع إلى مصر يلتمسون يوسف وأخيه بنيامين، ونهضهم وبشرهم وأمرهم ألا ييأسوا من روح الله مؤملًا إياهم بالله الرحيم اللطيف: ﴿... وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ يوسف: ٨٧، أي لا تقنطوا من رحمة الله ومن أن يُرَوِّحَ الله عنا ما نحن فيه من الحزن؛ ولا تقطعوا رجاءكم وأملكم من الله؛ فإنه لا يقنط من فرجه، ولا يقطع رجاءه منه إلا الكافرون، فاليأس من رحمة الله وتفريجه من صفة الكافرين، وأما المؤمنون فإنهم يرجون الله تعالى في الشدائد فلا ييأسون ولا يقنطون.[١٤]

٤)جاء التحذير في كتاب الله تعالى من اليأس والقنوط عند تغير الأحوال إلى غير المرغوب، كتغير الحالة من السعة إلى الضيق، ومن الغنى إلى الفقر، أو من اليسر إلى العسر، قال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ الروم: ٣٦، أي إذا أذقنا الناس نعمة من مطر أو سعة أو صحة أو غير ذلك فرحوا بها فرحًا يُبطرهم، وإن يصبهم بلاء وشدة من

جدب أو ضيق أو مرض أو غير ذلك بسبب شؤم معاصيهم؛ إذا هم ييأسون من الفرج، ويسارع إليهم اليأس من رحمة الله ويبعد عنهم الأمل في العافية مما وقع بهم(١٥)، وقال سبحانه: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾﴾ فصلت: ٤٩، فالإنسان في حال الإقبال وحصول المرادات فإنه لا ينتهي قط إلى درجة إلا ويطلب الزيادة عليها ويطمع بالفوز بها، وفي حال الإدبار والحرمان يصير آيسًا قانطًا، يقطع الرجاء من فضل الله وروحه، والانتقال من ذلك الرجاء الذي لا آخر له إلى هذا اليأس الكلي يدل على كونه متبدل الصفة متغير الحال(١٦)؛ وبذلك يتبين أن القرآن الكريم يذم اليأس والقنوط ويحرمهما أشد التحريم، وأن اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى من صفات أهل الكفر والضلال.

وجاء في السنة ما يدل على أن اليأس والقنوط من كبائر الذنوب التي لا تكفرها إلا التوبة النصوح، فعن فضالة بن عبيد ﷺ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "وثلاثة لا تسأل عنهم: رجل نازع الله رداءه، فإن رداءه الكبرياء وإزاره العزة، ورجل شك في أمر الله والقنوط من رحمة الله "(١٧)، وثبت عن عبد الله ابن مسعود ﷺ أنه قال: " الكبائر: الشرك بالله، واليأس من روح الله، والقنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله "(١٨)، فالشرك أكبر الكبائر، وهو الذي لا يُغفر لنص الله تعالى على ذلك : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ النساء: ١١٦، وبعده اليأس من رحمة الله تعالى(١٩)، إذ يقول الله تعالى: ﴿...وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ ...﴾ الأعراف: ١٥٦، وأما اليائس فيقول لا فرج ولا أمل ولا خير قادم، وهذا التحريم لليأس والقنوط يدل من مفهوم المخالفة(٢٠) على وجوب الأمل في فضل الله تعالى ورحمته مهما كانت الظروف، مع بذل الأسباب والاستعانة بالله تعالى عليها، وحسن الظن بالله اللطيف الرحيم ﷻ، و"بحسب إيمان العبد يكون رجاؤه لرحمة الله وروحه"(٢١).

المطلب الثالث: أهمية الأمل وعدم اليأس:

الإسلام دين إيجابي يدعو للأمل والرجاء فيما عند الله من الخير والرحمة، ويمنع من اليأس والقنوط، وهذه النظرة الإيجابية للأحداث التي يدعو لها الإسلام لها تأثيرٌ كبيرٌ في حياة الفرد والأمة، وكلما كان الإنسان أكثر ثقة ورجاء بفضل الله ورحمته، فإنه بقدر ما ينال من التوفيق والجدية في بذل الأسباب اللازمة لتحقيق ما يؤمّل ويرجو، ومن آثار الأمل وعدم اليأس ما يلي:

١ –الأمل من أسباب تحقيق حسن الظن بالله تعالى، ومن أحسن ظنه بالله فإنه يُرجى له أن يعامله الله تعالى بحسب ظنه الحسن، فإنه سبحانه عند ظن عبده به، كما في حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله جل وعلا يقول أنا عند ظن عبدي بي إن ظن خيرًا فله وإن ظن شرًا فله"(٢٢) ، وكان عبد الله بن مسعود ﷺ يقول "والذي لا إله غيره، ما أعطي عبد مؤمن من شيء أفضل من أن يحسن بالله ظنه، والذي لا إله غيره، لا يحسن عبد مؤمن بالله ظنه إلا أعطاه ذلك، فإن كل الخير بيده"(٢٣)، وحسن الظن بالله يعني اعتقاد ما يليق بالله تعالى وأسمائه وصفاته، واعتقاد ما تقتضيه أسماؤه وصفاته من آثار عظيمة مباركة، وكذلك اعتقاد انَّ الله تعالى له الحِكَم الجليلة فيما قدَّره وقضاه، ومن ذلك أن يظن العبد أن الله تعالى يتقبل منه الأعمال الصالحة الخالصة لوجهه الكريم، وأن الله سيرحمه ويفرج همه ويكشف عنه الغم وييسر له العسير.

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ التوبة: ٥٩، فلو رضي العباد بما قدره الله تعالى واختاره لهم وتوكلوا عليه، وأظهروا حسن ظنهم بالله الجليل وتوقعوا الخير منه سبحانه " لأتتهم فنون العطاء وتحقيقات المنى"(٢٤)، وتلك عادة الله تعالى مع من أحسن الظن به جل وعلا، وكان متعلقًا ببره، راجيًا فضله وجوده، موقنًا بأسمائه وصفاته الجليلة وما تقتضيه من الآثار الحميدة المباركة.

٢ –الأمل قوة وحافز ووقود لمواجهة الصعاب والتحديات، ويجعل المسلم يفكر في النجاح أكثر من الخيبة وفي التقدم أكثر من التأخر، فيميل إلى جانب الإقدام أكثر من جانب التردد واثقًا بفضل الله ورحمته وإحسانه؛ فالأمل بالله تعالى والثقة بنصره لمن ينصره؛ جعل الرجلان من أصحاب موسى يحضَّان قومهما على امتثال أمر موسى عليه السلام للدخول على الجبابرة باب قريتهم، قال تعالى ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ المائدة: ٢٣؛ فأكدا لهم أنهم سيغلبون وينتصرون إذا دخلوا عليهم متوكلين على الله تعالى؛ فلولا حسن ظنهما بالله تعالى وثقتهما وأملهما بنصره لما قالا ذلك القول، ولما كان لهما القوة على مواجهة قومهم به، ولكن قومهم أساءوا الظن بالله وأساءوا الأدب معه ﷻ فكان ردهم ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا

هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ المائدة: ٢٤؛ فعاقبهم الله تعالى بأن حرم عليهم دخول الأرض المقدسة أربعين سنة، فتاهوا في الصحراء فلم يهتدوا إلى جهة؛ فلو كان عندهم حسن ظن بالله وتوقع للخير منه فاستجابوا لرسولهم موسى عليه السلام لغلبوا عدوهم وفازوا بالنصر ولنجوا من عذاب الله تعالى. (٢٥)

٣ –الأمل بالله تعالى والرجاء فيما عنده هو ما جعل كل داع يدعو الرحمن ويسأله ويرجوه، وبقدر هذا الرجاء يكون الإلحاح في الدعاء وتكراره ولو تأخرت الاستجابة، موقنين بوعد الله تعالى الذي لا يخلف الميعاد، قال سبحانه ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ البقرة: ١٨٦، فبشر الله تعالى عباده بأنه قريب منهم يجيب دعوتهم، وتولى سبحانه في الآية الكريمة جوابهم عن سؤالهم بنفسه ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ البقرة: ١٨٦ ،إذ حذف في اللفظ ما يدل على وساطة النبي ﷺ تنبيها على شدة قرب العبد من ربه في مقام الدعاء. (٢٦)

٤ –الأمل بالله تعالى سلوى كل حزين وسبب انتظاره الفرج من الله تعالى مهما اشتد الأمر، وذلك ما واسى به رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق ﷺ في الغار، في طريق هجرتهما للمدينة؛ وكفار قريش قد اقتربوا منهم، بل لو نظر أحدهم لقدمه لرأى رسول الله ﷺ، فعن أبي بكر ﷺ قال: قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار : لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا . فقال : "ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما " (٢٧)، فكان ﷺ رغم إحاطة كفار قريش بالغار، آمنًا ساكن القلب قوي النفس واثقًا بما وعده الله أن ينصره على قريش(٢٨)، قال سبحانه ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ التوبة: ٤٠

٥ –الأمل يدفع الإنسان للإيجابية والنشاط والاجتهاد والمثابرة والعمل الجاد والدؤوب لتحقيق ما يرجوه من الخير، وأعظم ذلك الخير والرجاء، رجاء الفوز في الآخرة بجنات النعيم.

فقد تكاثرت الآيات في القرآن الكريم التي تذكر بالجنة وتصف بعض ما فيها من قرة العين وبهجة النفوس؛ لتكون أملا ورجاء لكل عامل لها، ومن ذلك أنه يقال لأهل الجنة أن الله أورثكم إياها ونلتم ما نلتم من نعيمها بسعيكم وأعمالكم الصالحة وصبركم واجتهادكم(٢٩)، كما في قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ الزخرف: ٧٢ ، ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ

تَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ الطور: ١٩، ﴿ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ المؤمنون: ١١١

فيعظم أمل العاملين ورجاءهم بأن يكونوا من الفائزين الذي يهنئون بفوزهم بجنات النعيم لقاء عملهم في الدنيا، فيصبرون على طاعة الله تعالى ولا يزيدهم ما يجدونه من تعب ومشقة إلا لذةً وسرورًا بما يرجونه من الفوز العظيم.

٦ -الأمل يجعل الداعية ينظر للعاصي نظرة الرحمة والأمل في هداية الله تعالى له، فيبحث عن النواحي الإيجابية في ذلك العاصي ليدخل منها للتقرب إليه وكسب المرحلة الأولى من مراحل دعوته وهو أن يقنعه أن فيه خير ولديه صفات رائعة ولكن يحتاج لاستكمال ذلك بترك المعصية وطاعة الله جل وعلا، محققًا بذلك قول الله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ النحل: ١٢٥.

المبحث الثالث: الابتلاء بتكرار فعل الذنب بعد التوبة (الفتنة بالنساء -أنموذجًا)

المطلب الأول: سنة الابتلاء والأمل:

الابتلاء "في الأصل، التكليف بالأمر الشاق من البلاء"[٣٠]، ولكنه يكون أيضًا في الخير والشر معا، وهو بمعنى الامتحان والاختبار[٣١].

وهو سنة إلهية لا بد منها؛ فالله سبحانه وتعالى قد علم قبل أن يوجد عباده أحوالهم وما هم عاملون وما هم إليه صائرون ثم أخرجهم إلى الدنيا ليظهر علومه الذي علمه فيهم كما علمه، فيستحقون المدح والذم والثواب والعقاب بما قام بهم من الأفعال والصفات المطابقة للعلم السابق[٣٢]، قال الله عز وجل: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ البقرة: ١٥٥، وقال تعالى: ﴿ ۞ لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾ آل عمران: ١٨٦، وقال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ العنكبوت: ٢ –٣، وقال سبحانه :﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ الملك: ٢، فسنته وعادته سبحانه في الأولين وفي هذه الأمة، أن لا يدعهم على حال واحدة، بل يبتليهم، ويكون تارة بما يسوء، وتارة بما يسر، قال تعالى: ﴿ ...وَنَبۡلُوكُم

بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ ...﴾ الأنبياء: ٣٥، فيبتلي عباده بالمصائب والشدة تارة، وبالرخاء والنعم تارة أخرى، والعسر واليسر، والغنى والفقر، وإدالة الأعداء عليهم في بعض الأحيان، ومجاهدة الأعداء بالقول والعمل ونحو ذلك من الفتن، التي ترجع كلها إلى فتنة الشبهات المعارضة للعقيدة، والشهوات المعارضة للإرادة، فمن كان عند ورود الشبهات يثبت إيمانه ولا يتزلزل، ويدفعها بما معه من الحق، وعند ورود الشهوات الموجبة والداعية إلى المعاصي والذنوب، أو الصارفة عن ما أمر الله به ورسوله، يعمل بمقتضى الإيمان، ويجاهد شهوته، دل ذلك على صدق إيمانه وصحته، ومن كان عند ورود الشبهات تؤثر في قلبه شكا وريبا، وعند اعتراض الشهوات تصرفه إلى المعاصي أو تصدفه عن الواجبات، دل ذلك على عدم صحة إيمانه وصدقه، فالابتلاء والامتحان للنفوس بمنزلة الكير، يخرج خبثها وطيبها. (٣٣)

وفي إخبار الله تعالى لعباده المؤمنين بأنه سوف يختبرهم، فوائد عظيمة، منها: أن يعلموا قبل وقوع البلاء بأن ما يصيبهم إنما بقدر الله وقضائه وأنه سبحانه يريد بهم فيما يصيبهم الخير ليعلي درجاتهم، ويكفر من سيئاتهم، وليزداد بذلك إيمانهم، ويتم به يقينهم، وليتميز المؤمن الصادق من غيره، وليوطنوا أنفسهم على الصبر عليها إذا وردت، فيكون ذلك أبعد لهم عن الجزع، لأنهم قد استعدوا لوقوعه، فيهون عليهم حمله، وتخف عليهم مؤنته، ويلجئون إلى الصبر والتقوى، وليتأملوا فيما وقع لهم من البلاء، لعله بذنوب اقترفوها فيتوبوا، ولعلها لغفلة عن الله، فيكون البلاء سببا للقرب من الله سبحانه وكثرة دعائه والتضرع إليه، فيكون البلاء سبب لصلاح العبد وقربه من الله تعالى، وفعله عبادات كان غافلا عنها أو مقصرا فيها، فلله سبحانه الحكمة البالغة فيما يقدره ويقضيه(٣٤).

فالبلاء اختبار من الله تعالى، لينال به من صبر واتقى الله تعالى حسن العاقبة عاجلا وآجلا، ومن ذلك ما حصل لرسول الله ﷺ والمؤمنين معه من ابتلاءات عظيمة في غزوة الأحزاب، ثم ما تبع ذلك من مآلات حميدة تفتح أبواب الأمل لكل مبتلى، وتدعوه للصبر وتقوى الله تعالى وعدم اليأس والقنوط مع بذل الأسباب الممكنة.

فقد أطبق المشركون من قريش وغطفان واليهود من بني قريظة على المدينة من كل جانب، يريدون استئصال الرسول ﷺ والصحابة، ومع عظم هذا البلاء فقد سمى الله تعالى ذلك وما تبعه بـ (نعمة الله)، فقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩ ﴾ الأحزاب: ٩، فذكر سبحانه بدء المعركة وختامها ، ولكن قال في بداية ذلك ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾ فما حصل كان نعمة بداخلها نعما متعددة تفوق العد(٣٥)، لأن الأمور بعواقبها، ومن اتقى الله تعالى وصبر

كان بلاؤه نعمة له من الله تعالى، فذكر في هذه البداءة معالم البلاء وما تبعه، من مجيء جنود الأعداء، وإرسال ريح الله وجنوده التي لم يرها المؤمنون، ونصر الله المرتبط بعلم الله بهم، وبصره بعملهم .

ثم بين الله تعالى البلاء والكرب العظيم الذي أصاب المؤمنين وما كانوا فيه من غاية الشدة والخوف[٣٦]: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ ﴾ الأحزاب: ١٠، فقد جاءت غطفان من أعلى الوادي، وهو من جهة المشرق، وجاءت قريش ومن معها من أسفل الوادي من جهة المغرب من ناحية مكة، وجاء يهود بني قريظة من وجه الخندق [٣٧]، ويصف الله تعالى حالة الخوف والكرب والضيق التي كان فيها المؤمنون، فيرسمها بملامح الوجوه وحركات القلوب وحديث النفوس، فيقول سبحانه : ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ أي مالت وشخصت من شدة الرعب [٣٨]، و﴿ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ﴾ وهو تمثيل عبر به سبحانه عن شدة الخوف الذي ملأ قلوب المؤمنين[٣٩]، ثم ذكر سبحانه ما كان في النفوس في تلكم اللحظات ﴿ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾ أي " اختلفت الظنون بالله فظن المنافقون استئصال مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وظن المؤمنون النصر والظفر لهم"[٤٠]، وبين الله تعالى أن ما أصابهم من هذا البلاء اختبار لهم، ليتبين المخلص من المنافق، فابتلاهم بالخوف والقتال والجوع والحصر [٤١] قال سبحانه: ﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ الأحزاب: ١١، ورغم هول ما أصاب المؤمنين من البلاء، واجتماع الكفار والمنافقين عليهم، فقد ذكر الله عنهم حسن ظنهم به جل وعلا: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾ الأحزاب: ٢٢ ، أي "هذا ما وعدنا الله ورسوله من الابتلاء والاختبار والامتحان الذي يعقبه النصر القريب"[٤٢]، وذلك كما قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ البقرة: ٢١٤ ، فبما أنهم قد ابتلوا وزلزلوا فإن النصر قريب، فكان هذا ظنهم بالله، متفائلين بحصول النصر القريب من الله القوي العزيز، وسبقهم للتفاؤل مُحَمَّد ﷺ عند حفر الخندق ليحول بين العدو وبين المدينة، حيث ظهر أثناء الحفر تفاؤله العظيم ﷺ ليس فقط بالانتصار في هذه المعركة، بل بنصر يتعدى حدود الجزيرة العربية، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق، قال: وعرض لنا صخرة في مكان من الخندق، لا تأخذ فيها المعاول، قال: فشكوها إلى رسول الله ﷺ، فجاء رسول الله ﷺ، قال عوف:، وأحسبه قال: وضع ثوبه ثم هبط

إلى الصخرة، فأخذ المعول فقال: "بسم الله" فضرب ضربة فكسر ثلث الحجر، وقال: "الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا" . ثم قال: "بسم الله" وضرب أخرى فكسر ثلث الحجر فقال: "الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر المدائن، وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا" ثم قال: "بسم الله" وضرب ضربة أخرى فقلع بقية الحجر فقال: "الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا"(٤٣)، ففي خِضَم هذا الكرب والبلاء العظيم واجتماع قوى الكفر على القلة المستضعفة من المسلمين، فإن الرسول ﷺ كان متفائلا جدا بنصر الله الذي يتعدى هذه المعركة إلى نصر عظيم للإسلام والمسلمين، نصر يذل الله به أقوى دول الكفر في ذلك الزمان، وليس فقط قريش ومن معها ممن اجتمعوا لقتال المسلمين، فحقق الله للنبي ﷺ وللصحابة ما تفاءلوا به وما ظنوه بالله من ظن حسن، وكفاهم الله عدوهم، وكفاهم قتاله، ورزقهم الغنائم العظيمة، قال الله تعالى : ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾ الأحزاب: ٢٥ – ٢٧ ،فرد الله الذين كفروا بغيظهم لم يشفوا صدرا ولم يحققوا أمرا(٤٤)، ولم ينالوا خيرا من نصر أو غنيمة ، وكفى الله المؤمنين القتال بإرسال الريح والملائكة، فلم يكن قتال بين المؤمنين والكفار(٤٥) ، ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾ أي " وأنزل الله الذين أعانوا الأحزاب من قريش وغطفان على رسول الله ﷺ وأصحابه، وذلك هو مظاهرتهم إياه، وعنى بذلك بني قريظة، وهم الذين ظاهروا الأحزاب على رسول الله ﷺ، وقوله: ﴿ مِن صَيَاصِيهِمْ ﴾ يعني: من حصونهم "(٤٦)، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فلم يقووا على القتال، بل استسلموا وخضعوا وذلوا، وكان حالهم أن منهم ﴿ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ وهم الرجال المقاتلون ﴿ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾ من عداهم من النساء والصبيان، و﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾ "المراد بالأرض: العقار والنخيل، وبالديار: المنازل والحصون، وبالأموال: الحلي، والأثاث، والمواشي، والسلاح، والدراهم، والدنانير "(٤٧) واختلف المفسرون في تعيين الأرض المذكورة في قوله تعالى ﴿ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَاۚ ﴾، فقيل " إنها خيبر ولم يكونوا إذ ذاك قد نالوها، فوعدهم الله بها ، وقيل إنها مكة ، وقيل : فارس والروم ، وقيل : كل أرض تفتح إلى يوم القيامة " (٤٨).

فما حصل للمؤمنين في غزوة الأحزاب في بداياتها ونهايتها، دعوة للدعاة والمصلحين وكل مسلم ، للأمل والتفاؤل وحسن الظن بالله مهما اشتد البلاء، فإن الله غالب على أمره، والمؤمن يمر في تقلبات من أحواله ابتلاءً واختبارًا من الله تعالى، فإن أحسن الظن بالله تعالى فلم ييأس ولم يقنط من رحمة الله وصبر واتقى الله تعالى، فإنه سبحانه لا يضيع أجر المحسنين، كما قال سبحانه : ﴿ ...إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ يوسف: ٩٠، بل يجد من الله تعالى ما تقر به عيونه؛ فمجرد الابتلاء ليس شرًا، ولكن الشر هو السقوط في الابتلاء، فكل ابتلاء هو اختبار وامتحان، ولم يقل أحد: إن الامتحانات شر، فإنما تصير شرًا من وجهة نظر الذي لم يتحمل مشاق العمل للوصول إلى النجاح، أما الذي بذل الجهد وفاز، فالامتحانات خير بالنسبة له[٤٩]، وكذلك أي بلاء.

يقول ابن القيم: " وإذا تأملت حكمته سبحانه فيما ابتلى به عباده وصفوته بما ساقهم به إلى أجل الغايات وأكمل النهايات التي لم يكونوا يعبرون إليها إلا على جسر من الابتلاء والامتحان، وكان ذلك الجسر لكماله كالجسر الذي لا سبيل إلى عبورهم إلى الجنة إلا عليه، وكان ذلك الابتلاء والامتحان عين المنح في حقهم والكرامة، فصورته صورة ابتلاء وامتحان، وباطنه فيه الرحمة والنعمة والمنة. فكم لله من نعمة جسيمة ومنة عظيمة تجنى من قطوف الابتلاء والامتحان"[٥٠]، ثم ذكر ابتلاءات بعض الأنبياء عليهم السلام وما آلت إليه لهم من الرفعة والكرامة، فآدم عليه الصلاة والسلام، لولا المحنة التي جرت عليه بإخراجه من الجنة، لما وصل إلى ما وصل إليه وما آلت إليه محنته من الاصطفاء والاجتباء والتوبة والهداية ورفعة المنزلة، فكم بين حالته الأولى وحالته الثانية في نهايته، ونوح عليه الصلاة والسلام ، فقد كانت محنته وصبره على قومه القرون الطويلة، آلت إلى أن أقر الله عينه بنصره له، فأغرق أهل الأرض بدعوته، وجعل العالم بعده من ذريته، وجعله خامس خمسة هم أولو العزم الذين هم أفضل الرسل، وأمر رسوله ونبيه مُحَمَّدا ﷺ أن يصبر كصبره، وأثنى عليه بالشكر، فقال:﴿ ...إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ﴿٣﴾ ﴾ الإسراء: ٣، فوصفه بكمال الصبر والشكر، وأما إبراهيم ﷺ، فقد آلت محنته وصبره وبذله لله نفسه ونصره دينه إلى أن اتخذه الله خليلا لنفسه، وأمر رسوله وخليله مُحَمَّدا ﷺ أن يتبع ملته، وجازاه في ابتلاء ذبح ولده، وتسليمه ولده لأمر الله تعالى، بأن بارك في نسله وكثَّره، وجعل النبوة والكتاب في ذريته خاصة، وأخرج منهم محمدًا ﷺ، هذا سوى ما أكرمه الله به من رفع الذكر والثناء الجميل على ألسنة جميع الأمم وفي السموات بين الملائكة؛ فإن الله تعالى لا يتكرم عليه أحد، وهو أكرم الأكرمين، فمن ترك لوجهه أمرًا أو فعله لوجهه بذل الله له أضعاف ما تركه من ذلك الأمر أضعافًا مضاعفة، وجازاه بأضعاف ما فعله لأجله أضعافًا مضاعفة.

وأما موسى عليه السلام، فقد آلت إليه محنته من أول ولادته إلى منتهى أمره، حتى كلمه الله تكليمًا، ورفعه إلى أعلى السموات، واحتمل له ما لا يحتمل لغيره، فإنه رمى الألواح على الأرض حتى تكسرت، وأخذ بلحية نبي الله هارون وجره إليه، ولطم وجه ملك الموت ففقأ عينه، وخاصم ربه ليلة الإسراء في شأن مُحَمَّد رسول الله ﷺ ، وربه يحبه على ذلك كله، ولا سقط شيء منه من عينه، ولا سقطت منزلته عنده، بل هو الوجيه عند الله، القريب، ولولا ما تقدم من السوابق، وتحمل الشدائد والمحن العظام في الله، ومقاساة الأمتين الشديدتين: فرعون وقومه، ثم بني إسرائيل وما آذوه به وما صبر عليهم لله.

والمسيح عيسى ﷺ، آلت إليه محنته وصبره على قومه، واحتماله في الله ما تحمله منهم، إلى أن رفعه الله إليه، وطهره من الذين كفروا، وانتقم من أعدائه، وقطعهم في الأرض، ومزقهم كل ممزق، وسلبهم ملكهم وفخرهم إلى آخر الدهر.

وأما رسول الله مُحَمَّد ﷺ، فقد آلت سيرته مع قومه، وصبره في الله، واحتماله ما لم يحتمله نبي قبله، وتلون الأحوال عليه من سلم وحرب، وغنى وفقر، وخوف وأمن، وإقامة في وطنه وظعن عنه وتركه لله، وقتل أحبابه وأوليائه بين يديه، وأذى الكفار له بسائر أنواع الأذى من القول والفعل، والسحر والكذب، والافتراء عليه والبهتان؛ وهو مع ذلك كله صابر على أمر الله، يدعو إلى الله، فلم يؤذ نبي ما أوذي، ولم يحتمل في الله ما احتمله، ولم يعط نبي ما أعطيه، فرفع الله له ذكره، وقرن اسمه باسمه، وجعله سيد الناس كلهم، وجعله أقرب الخلق إليه وسيلة، وأعظمهم عنده جاهًا، وأسمعهم عنده شفاعةً، وكانت له تلك المحن والابتلاء عين كرامته، وهي مما زاده الله بها شرفًا وفضلًا، وساقه بها إلى أعلى المقامات، وهذا حال ورثته من بعده الأمثل فالأمثل، كل له نصيب من المحنة، يسوقه الله به إلى كماله بحسب متابعته له، ومن لا نصيب له من ذلك فحظه من الدنيا حظ من خلق لها وخلقت له، فهو يأكل منها رغدا، ويتمتع فيها حتى يناله نصيبه من الكتاب، يمتحن أولياء الله وهو في دعة وخفض عيش، ويخافون وهو آمن، ويحزنون وهو في أهله مسرور، له شأن ولهم شأن، وهو في واد وهم في واد، همه ما يقيم به جاهه، ويسلم به ماله، وتسمع به كلمته، وهمهم إقامة دين الله، وإعلاء كلمته، وإعزاز أوليائه، وأن تكون الدعوة له وحده، فيكون هو وحده المعبود لا غيره، ورسوله المطاع لا سواه، فلله سبحانه من الحكم في ابتلائه أنبياءه ورسله وعباده المؤمنين ما تتقاصر عقول العالمين عن معرفته، وهل وصل من وصل إلى الغايات المحمودة والنهايات الفاضلة إلا على جسر المحنة والابتلاء؟! (٥١).

المطلب الثاني: مقومات الأمل رغم الابتلاءات:

أولًا: الإيمان والعمل الصالح :

قال الله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ النحل: ٩٧، فالإيمان والعمل الصالح أعظم أسباب الحياة الطيبة المطمئنة، والتي من أبرز معالمها تلقي المسار بشكر الله عليها، واستعمالها فيما ينفع، وتلقي المكاره بالاجتهاد في مدافعتها وبالصبر الجميل لما ليس له منه بد، واحتساب الأجر والثواب في كل ذلك، فتضمحل مع ذلك المكاره، وتحل محلها الآمال الطيبة، والتفاؤل، والطمع في فضل الله وثوابه، كما قال النبي ﷺ: (عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيرًا له) (٥٢)، فبقدر ما يكون للعبد من قوة الإيمان والإقبال على الأعمال الصالحة يكون رباطة جأشه عند الملمات وثباته واستقرار نفسه وحسن ظنه بالله تعالى، وأمله بخير لا يعلمه إلَّا الله تعالى، وبما قاله سبحانه العليم الخبير: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ ﴾ البقرة: ٢١٦ ، وقوله جل وعلا: ﴿ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ النساء: ١٩، وبقدر ما يكون في العبد من ضعف في إيمانه وتقصير في الطاعات فإنه إذا ابتلي بما يكره يناله من التوتر والتعاسة والشقاء وسوء الظن بالله تعالى واليأس والقنوط بقدر ذلك الضعف والتقصير(٥٣)؛ قال ابن القيم : "ولا ريب أن حسن الظن إنما يكون مع الإحسان، فإن المحسن حسن الظن بربه أن يجازيه على إحسانه ولا يخلف وعده، ويقبل توبته، وأما المسيء المصر على الكبائر والظلم والمخالفات فإن وحشة المعاصي والظلم والحرام تمنعه من حسن الظن بربه، وهذا موجود في الشاهد، فإن العبد الآبق الخارج عن طاعة سيده لا يحسن الظن به، ولا يجامع وحشة الإساءة إحسان الظن أبدًا، فإن المسيء مستوحش بقدر إساءته، وأحسن الناس ظنا بربه أطوعهم له"(٥٤)

ثانيًا : العلم بالله تعالى وعظيم قدرته:

فإن ذلك يورث حب لله وخشيته وتعظيمه وحسن عبادته والتوكل عليه وحسن الظن به وعدم اليأس أبدًا من فضله ورحمته مهما كانت الظروف والأحوال، وأمَّا الجهل بالله تعالى فمن أهم أسباب ضعف الإيمان واقتراف المعاصي وحصول سوء الظن بالله تعالى واليأس والقنوط، ولقد ذمَّ الله تعالى من لا يعظمونه ويوقرونه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، قال سبحانه : ﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ الحج: ٧٤، أي: ما عظَّموا الله حق تعظيمه، ولا عرفوه حق المعرفة، وما آمنوا أن الله على كل شيء قدير، وما وصفوه حق صفته ﷻ(٥٥)، والآيات في القرآن الكريم التي تتحدث

عن قدرة الله تعالى، كثيرة، وتتنوع في أسلوبها وسياقها، وتؤكد أن الله سبحانه على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، وأن كل شيء سواه مخلوق، وخاضع ذليل له؛ فكيف ييأس من يعلم أن كل شيء بيد الله تعالى، وأنه سبحانه له الجلال والكمال المطلق، وله الملك والتصرف في كل شيء سبحانه وتعالى، ومن ذلك قول الله تعالى :﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ البقرة: ٢٦٠، يُخبر سبحانه عن خليله إبراهيم أنه سأله أن يريه ببصره كيف يحيي الموتى، لأنه قد تيقن ذلك بخبر الله تعالى، ولكنه أحب أن يشاهده عيانا، فقال له الله تعالى ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ البقرة: ٢٦٠، أي "قطّع بيدك هذه الطيور، وفرّق أجزاءها، ثم ادعهنّ يأتينك سعيًا" [٥٦]، فرأى إبراهيم عليه السلام بعينيه الطيور وقد فارقتها الحياة، وتفرقت أجزاءها في أماكن متباعدة، ثم رأى بعينيه الطيور نفسها تدب فيها الحياة مرة أخرى، وتعود إليه سعيًا، دلالة على قدرة الله تعالى على كل شيء، وفي ذلك أمل لكل من رأى بعينيه المصائب والمحن، أن الله تعالى قادر على أن يريه الفرج بعد الكرب، والحياة الجديدة السعيدة بعد الضيق والهم، فهو سبحانه لا يعجزه شيء، فإنما أمره كما قال سبحانه:﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾ النحل: ٤٠.

ثالثًا: الإكثار من ذكر الله عز وجل:

إن من أكثر ما يؤثر في القلب لتحقيق حسن الظن بالله تعالى ورجاء الخير منه سبحانه في جميع الأحوال، حسن صلة ذلك القلب بالله تعالى أثناء الرخاء واليسر، بالإكثار من ذكره جل وعلا، مع حضور القلب واستشعاره لذة الذكر؛ فلا يهلع ولا يفزع ولا يجزع عند العسر وحصول ما يكره، بل سيكون مطمئنًا راجيًا من الله الخير ظانًا بالله تعالى أحسن الظن، وأما القلب الغافل البعيد عن الصلة بالله تعالى وقت الرخاء واليسر فإنه يكون عند حصول ما يكره يائسًا قانطًا، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ ﴾ المعارج: ١٩ – ٢٠، وأما القلب الموصول بالله سبحانه، فإنه ينال ما قاله جل وعلا: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ الرعد: ٢٨، فبذكر الله تطمئن القلوب، وتسكن، ويستقر فيها اليقين، ويبعد عنها الاضطراب والقلق والشك والظنون والأوهام، بما يفيضه عليها ذكر الله من نور الإيمان الذي يُذهب الهلع والوحشة[٥٧]، فيستشعر الطمأنينة

والسلام، ويحس أنه في هذا الوجود ليس مفردًا بلا أنيس، بل معه اللطيف الرحيم الذي وعد الذاكرين أنه معهم؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم" [٥٨]، فهناك لحظات في الحياة لا يصمد لها بشر، إلا أن يكون مرتكنًا إلى الله تعالى، دائم الصلة به، فيتعامل مع الأحداث بصبر ورضا، وأمل برحمة الله تعالى وفضله العظيم ولطفه وإحسانه.

والإكثار من ذكر الله تعالى يخرج من ظلمات اليأس وظلمات المعاصي إلى نور القلب وإشراقه، فيرى بهذا النور مالم يكن يراه من قبل، فيطمئن ويثبت على ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأفعال في جميع الأحوال، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾ ﴾ الأحزاب: ٤١ – ٤٣، والمقصود بالإكثار من ذكر الله في الآية الكريمة هو الإكثار من ذكر الله تعالى باللسان في جميع الأوقات. [٥٩]

وأعظم الذكر وأكثره أثرًا وطمأنينةً على النفس كتاب الله تعالى، فهو ربيع القلوب، والروح الذي تحيا به، كما يحيا الجسد بالروح [٦٠]، والنور الذي يستضاء به من ظلمات الشبهات والشهوات والجهل ويُهتدى به إلى الصراط المستقيم، كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ ﴾ الشورى: ، ٥٢، وهو أنفع الأدوية، فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا وفي القرآن سبيل الدلالة على دوائه وسببه [٦١]، ومن ذلك مرض اليأس والقنوط، فيتغير اليائس القانط فيصبح متفائلًا راجيًا رحمة ربه، مؤملًا في عظيم فضله؛ فالقرآن الكريم "مزيل للأمراض الموجهة للإرادات الفاسدة، فيُصلح القلب، فتصلح إرادته، ويعود إلى فطرته التي فُطر عليها، فتصلح أفعاله الاختيارية الكسبية، كما يعود البدن بصحته وصلاحه إلى الحال الطبيعي" [٦٢]، قال الله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٨٢﴾ ﴾ الإسراء: ٨٢ ، وقال سبحانه :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ يونس: ٥٧ .

رابعًا : التوكل على الله تعالى:

التوكل هو "الثقة بما عند الله تعالى، واليأس عما في أيدي الناس"[٦٣]، وهو قوة وطمأنينة وكفاية من كل هم وغم، "قال بعض السلف: جعل الله لكل عمل جزاءً من جنسه، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته لعبده، فقال: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ الطلاق: ٣، ولم يقل: نؤته كذا وكذا من الأجر كما قال في الأعمال، بل جعل نفسه سبحانه كافي عبده المتوكل عليه وحسبه، وواقيه، فلو توكل العبد على الله حق توكله وكادته السموات والأرض ومن فيهن لجعل له ربه مخرجًا من ذلك، وكفاه ونصره"[٦٤]، والتوكل على الله تعالى واعتماد القلب عليه لا على غيره هو الحق، قال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴿٥٨﴾ ﴾ الفرقان: ٥٨، فهو سبحانه الحي الذي لا يموت، وأما غيره فإنهم مخلوقون ضعفاء لا يملكون من أمر أنفسهم شيئا، ومن دلالة ضعفهم وعجزهم أنهم يموتون، بل لا يقدرون على تأخيره ولو لحظة واحدة إذا جاء أجلهم المكتوب من عند الله تعالى، فالذي يتوكل على الله تعالى ويفوض أمره إليه ويكون اعتماده عليه فقد ظفر بكفاية مالك الملك، الذي يُحيي ويُميت، وهو حي لا يموت.

والتوكل على الله تعالى لا يعني ترك العمل بالأسباب، فإن على العبد أن يأتي بالأسباب إتيان من لا يرى النجاة والفلاح والوصول إلا بهذه الأسباب، ويتوكل على الله توكل من يرى أنَّ الأسباب لا تنجيه، ولا تحقق له فلاحا، ولا توصله إلى المقصود، فيفرغ قلبه بذلك من الاعتماد عليها، والركون إليها، تجريدًا للتوكل، واعتمادًا على الله وحده، وأن الأمر كله بمشيئة الله، سبق به علمه وحكمه، وأن السبب لا يضر ولا ينفع، ولا يعطي ولا يمنع، ولا يقضي ولا يحكم، ولا يحصل للعبد ما لم تسبق له به المشيئة الإلهية، ولا يصرف عنه ما سبق به الحكم والعلم[٦٥].

خامسًا: الإيمان بالقضاء والقدر:

المتأمل للكون، يدرك أنه يسير بنظام بديع وتقدير من العزيز العليم سبحانه، كما قال تعالى : ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾ الأنعام: ٩٦، وكذلك شأن من في الأرض، فقد خلق الله تعالى كل شيء وقدره تقديرًا، كما قال سبحانه: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ الفرقان: ٢، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ القمر: ٤٩، والذي عليه أهل السُنة أنَّ الله تعالى " قدَّر الأشياء، أي علم مقاديرها وأحوالها وأزمانها قبل إيجادها، ثم أوجد منها ما سبق في علمه أنه يوجده على نحو ما سبق في علمه، فلا يحدث حدث في العالم العلوي والسفلي إلا وهو صادر عن علمه تعالى وقدرته وإرادته دون خلقه، وأن الخلق ليس لهم فيها

إلا نوع اكتساب ومحاولة ونسبة وإضافة، وأن ذلك كله إنما حصل لهم بتيسير الله تعالى وبقدرته وتوفيقه وإلهامه، سبحانه لا إله إلا هو، ولا خالق غيره، كما نص عليه القرآن والسنة"[٦٦]، والإيمان بالقدر من أركان الإيمان، كما في حديث عمر بن الخطاب ﷺ، وذلك عندما سأل جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ عن الإيمان، فقال له :" أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره"[٦٧]، ولقد بين القرآن الكريم أن كل شيء مكتوب قبل أن يكون، ويدخل في ذلك أمور الغيب كلها، وأنه سبق علمه سبحانه كل ما كان وكل ما يكون، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ الأنعام: ٥٩ ، فكل ذلك مكتوب عنده ﴿ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ أي كل ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ [٦٨] ، وقال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ الحديد: ٢٢ – ٢٣، فما يصاب به العباد من المصائب فإنه مكتوب في اللوح المحفوظ، كما في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "قدَّر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة "[٦٩]، فالإنسان إذا علم أن ما يحصل له من خير أو شر فإنما أمر قدَّره الله وكتبه في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة فإنه يجعله يتوازن في جميع أحواله؛ فلا يأسى على فائت، ولا يفرح بحاصل فرحًا يستخفه ويذهله، ولكن يمضي مع قدر الله في طواعية وفي رضًا، ويجعل الفرح شكرًا والحزن صبرًا وتسليمًا لأمر الله ورجاء ثواب الصابرين، ويرجو ما قد يكون من خير فيما حصل له من ضر، ثقة بقول الله تعالى : ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ ﴾ البقرة: ٢١٦ ، وبقوله سبحانه : ﴿ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ النساء: ١٩، فقد يكمن الخير العظيم في الضر الظاهر، ويكون اليسر الجميل بعد العسر، والراحة الكبرى الدائمة بعد ضنى وعناء امتد لفترة من الزمن.

سادسًا: تذكر نعم الله تعالى:

إن تذكر نعم الله الظاهرة والباطنة، يُسلي النفس عن جميع أسباب اليأس والقنوط، وإن مقارنة الإنسان بين بقية النعم الدينية أو الدنيوية الحاصلة له وبين ما أصابه من مكروه، يذكره بما هو فيه من

النعم مقارنة بما أصابه، ويقيس ما هو فيه من كرب بما أصابه من ضر سابق، وكيف أن الله تعالى فرَّج ذلك واستجاب دعاءه فيه رغم شدة ذلك الحال، وما رزقه الله مما لم يتوقعه ولم يخطر له ببال؛ فيستصغر بذلك ما به؛ بتذكره نعم الله التي لا تعد ولا تحصى؛ فيتحول للشكر والثناء على الله تعالى بدل اليأس والقنوط من رحمته جل وعلا، يقول ابن القيم: " فجدير بمن له مسكة من عقل أن يسافر بفكره في هذه النعم والالاء ويكرر ذكرها لعله يوقفه على المراد منها ما هو، ولأي شيء خُلق ولماذا هُيء وأي أمر طُلب منه على هذه النعم كما قال تعالى : ﴿ فَٱذۡكُرُواْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٦٩ ﴾ الأعراف: ٦٩، فذكر آلاءه تبارك وتعالى ونعمه على عبده سبب الفلاح والسعادة لأن ذلك لا يزيده إلا محبة لله وحمدًا وشكرًا وطاعةً وشهود تقصيره بل تفريطه في القليل مما يجب لله عليه"[٧٠]، ونعم الله تعالى عظيمة وكثيرة، لا يستطيع الإنسان أن يعدها ولا أن يحصرها فضلا عن القيام بشكرها، قال سبحانه : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨ ﴾ النحل: ١٨ ، فنعمه سبحانه الظاهرة والباطنة على العباد بعدد الأنفاس واللحظات، ومن جميع أصناف النعم مما يعرف العباد، ومما لا يعرفون، وما يدفع عنهم من النقم فأكثر من أن تحصى.[٧١]

وتذكر نعم الله تعالى يجعل الإنسان يقارن بين ما أنعم الله به عليه وبين من هو أقل منه؛ فإنه يرى بذلك ما فضله الله تعالى به على كثير من خلقه، وأنه في خير ونِعَم تفوق كثيرًا من الخلق مهما كان حاله، فيزول قلقه وهمه وغمه، ويزداد سروره واغتباطه بنعم الله التي فاق فيها غيره ممن هو دونه فيها، ويدفعه للأمل ورجاء فضل الله المحسن الوهاب.

سابعًا: الصبر:

الصبر من أهم أسباب الوقاية من الاستسلام لليأس والقنوط عند ذهاب النعمة، وكذلك عدم البطر والتكبر عند النعمة، قال تعالى: ﴿ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ ٩ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ ١٠ ﴾ هود: ٩ – ١٠، ثم استثنى سبحانه من جنس الإنسان فيما ذكر من حاليه السالفتين، فقال: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١١ ﴾ هود: ١١، فطبيعة الإنسان، أنه جاهل ظالم، إذا أذاقه الله تعالى منه رحمة كالصحة والرزق، والأولاد، ونحو ذلك، ثم نزعها منه، فإنه يستسلم لليأس، وينقاد للقنوط، فلا يرجو ثواب الله، ولا يخطر بباله أن الله سيردها أو مثلها، أو خيرًا منها عليه، وأنه إذا أذاقه رحمةً من بعد ضراء مسته، أنه يفرح ويبطر

ويظن أنه سيدوم له ذلك الخير، إلا من وفقه الله وأخرجه من هذا الخُلق الذميم إلى ضده، وهم الذين صبَّروا أنفسهم عند الضراء فلم ييأسوا، وعند السراء فلم يبطروا، وعملوا الصالحات من واجبات مستحبات، أولئك لهم مغفرة عظيمة من ربهم تمحو ما علق بأنفسهم من ذنب أو تقصير، وأجر كبير في الآخرة على ما وفّقوا لعمله من بر وخير كثير [٧٢]، ووعد الله تعالى من صبر، ما هو أعظم وخيرٌ له أضعافًا مضاعفة مما فاته في المصيبة، وأعظم مما تحمَّله في الصبر عن المعاصي التي كانت تريدها نفسه فلم يرتكبها لله، وكذلك أعظم مما بذل واجتهد ونصب في طاعة الله فأدَّاها كما أراد الله، فجاء في كتاب الله تعالى ما تقر به أعين الصابرين، ويهون عليهم الصبر، ويجدد لهم الأمل ورجاء حسن العاقبة في العاجل والآجل، ويبعد عنهم اليأس والقنوط، ومن ذلك: أن جعل الله تعالى أجر الصابرين بغير حساب، بل عطاءً عظيمًا من عنده، قال تعالى:﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿١٠﴾ ﴾ الزمر: ١٠، فتكون أجورهم بغير حد ولا عد ولا مقدار، وثوابهم وأجرهم لا نهاية له[٧٣]، وجعل الله تعالى للصابرين على أقداره المؤلمة، البشرى العظيمة منه جل وعلا، فبعد أن قال الله تعالى:﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ ﴾ البقرة: ١٥٥، قال سبحانه مُبشرًا الصابرين:﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ البقرة: ١٥٥ - ١٥٧، فمن صبر على هذه المصائب أعطاه الله تعالى في العاجل والآجل ما هو أعمّ نفعًا له [٧٤]، وأكرَمَ الله تعالى الصابرين وأعلى قدرهم، ورفع منزلتهم، بحبه لهم ،فقال تعالى :﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ آل عمران: ١٤٦، وبشَّرهم بأنه معهم، فقال :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ البقرة: ١٥٣، وكفى بمعية الله للصابرين معونةً وفضلًا وشرفًا، وبشرهم أيضًا بأن صبرهم خيرٌ لهم؛ فلهم به حسن العاقبة عاجلًا وآجلًا، كما قال تعالى: ﴿ وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ ﴾ النساء: ٢٥.

المطلب الثالث: الابتلاء بتكرار فعل الذنب بعد التوبة (الفتنة بالنساء –أنموذجًا):

من الابتلاءات أن يكون للإنسان ذنب أو أكثر تعلق به قلبه، واعتاد عليه طويلًا، حتى أصبح عادةً له يصعب أن ينفك عنها، فيتوب إلى الله تعالى نادمًا على ما اقترفه عازمًا أن لا يعود إلى الذنب، ولكنه لا يلبث إلا أن يضعف فيقع فيما كان يقع فيه من الذنوب، فيُقنطه الشيطان من رحمة ربه، وأنه كاذب في توبته، وأن عليه أن لا يتوب إلا إذا علم يقينا أنه سيثبت على توبته ولن يرجع إلى ذنبه، ظنًا منه أن التوبة الصادقة تعني عدم العودة إلى ذات الذنب الذي تاب منه.

ومن هذه الذنوب تعلق قلوب بعض الرجال بالنظر لما لا يحل لهم من النساء، وخصوصًا في هذا الوقت الذي سهل فيه مشاهدة كل ما لا يرضي الله تعالى من خلال الإنترنت، واجتهاد أعداء الله في التفنن في إغواء شباب المسلمين، فأنتجوا وترجموا لهم الأفلام الإباحية، ونشروها في وسائل التواصل المختلفة، ويسروا الوصول لها، فضلًا عن صور النساء الفاتنات العاريات، ثم تزيين الشيطان لتلك المشاهد من الأفلام والصور زيادة عما زينه من يريدون فتنة المسلمين، وهي فتنة عظيمة حذر منها الله تعالى، فقال سبحانه: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ النور: ٣٠ ، فهو أمر صريح من الله تعالى للمؤمنين بكف أبصارهم عن النظر إلى ما لا يحلّ، وإن وقع البصر على محرم من غير قصد، فعلى المؤمن أن يصرف بصره عنه سريعا[٧٥]، و(مِن) في قوله تعالى ﴿ مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ "هي التبعيضية وإليه ذهب الأكثرون وبينوه بأن المعنى غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل، وقيل: وجه التبعيض أنه يعفى للناظر أول نظرة تقع من غير قصد" [٧٦].

ومن خطورة الافتتان بالنساء فإن بعض الذين يتوبون من مشاهدة الأفلام والصور الإباحية ومن النظر إلى ما لا يحل لهم من النساء بصفة عامة، فإنهم يعودون للذنب بسرعة أو بعد وقت ليس بطويل، وقد يصل بعضهم لليأس من حاله ومن ثباته على التوبة، ويظن أنه كاذب في توبته، فيظل على ما هو عليه من الذنب في انتظار الوقت الذي يتمكن فيه من التوبة والثبات عليها، وخصوصا مع استماعه للأسف لبعض الفتاوى التي تقول لمن يتوب ثم يذنب ثم يتوب ثم يذنب بأن توبته توبة الكذابين، والصحيح أن الله سبحانه وتعالى يقبل التوبة من كل تائب نادم على ما فعل من الذنوب عازم على تركها، فبعد أن ذكر الله تعالى صفات المتقين بقوله جل وعلا: ﴿ ۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤، ذكر سبحانه صفة أخرى لهم وهي توبتهم بعد الذنب، فقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ آل عمران: ١٣٥ – ١٣٦،

أي والذين وقع منهم فعل الذنوب الكبيرة أو ما دونها، فإنهم يتذكرون رحمة الله سبحانه ونعمه عليهم، وما أعد للطائعين من ثواب، ويتذكرون عظمته، وبطشه وعقابه، فيوجب لهم ذلك هذا الحياء من الله تعالى

والخوف منه، فيفرون إليه نادمين، طالبين منه الستر وعدم المؤاخذة على ذنوبهم، فإنه لا يغفر ذنوب العباد أحد غير الله تعالى، وإنه لا مفزع للمذنبين إلا فضله وكرمه، والذنوب وإن جلت فإن عفوه أجل، وكرمه أعظم؛ والمذنب إذا تاب صار حاله كحال من لم يذنب قط في استحقاق المنزلة والكرامة عند الله تعالى [٧٧] ، فيتوبون من ذنوبهم، ويرجعون إلى الله عن قريب، ولا يستمرون على المعصية ولا يصرون غير مقلعين عنها، ولو تكرر منهم الذنب الذي تابوا عنه [٧٨].

وجعل سبحانه توبة التائبين من ذنوبهم وإن تكرر غشيانها[٧٩] سبب لنيل شرف محبته لهم، قال جل ﴿ ...إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ... ﴾ البقرة: ٢٢٢، فهو سبحانه يحب الذين يرجعون إليه تائبين غير مصرّين على سيئ أفعالهم بعد أن غلبهم سلطان الشهوة[٨٠]، مع أنهم لم يرجعوا إليه ولم يتوبوا إلا بتوفيقه لهم، كما قال سبحانه عن آدم عليه السلام: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ البقرة: ٣٧، فرزقه الله تعالى التوبة والإنابة إليه، والأوبة إلى طاعته مما يكره من معصيته، إنه التوّاب على من تاب إليه من عباده المذنبين من ذنوبه، التارك مجازاته بإنابته إلى طاعته بعد معصيته بما سلف من ذنبه[٨١].

ومما يؤكد أن صفة التقوى لا تعني عدم وقوع المتقين في الذنوب، قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ الأعراف: ٢٠١ ، فالمتقي ليس بمعصوم من الخطأ، بل يحصل منه الغفلة والضعف، والشيطان لا يزال مرابطًا ينتظر غفلته؛ فيصيبه طائف من الشيطان، والمقصود به هنا "الخاطر الذي يخطر في النفس يبعث على فعل شيء نهى الله عن فعله"[٨٢]، شبَّه ذلك الخاطر في مبدأ جولانه في النفس بحلول الطائف قبل أن يستقر، إذ أن الطائف هو الذي يمشي حول المكان ينتظر الإذن له، فهو النازل بالمكان قبل دخوله[٨٣]، فيزين له الشيطان بذلك الخاطر المعصية، أو يذكره بلذة معصية تعود على مقارفتها قبل توبته، فإذا "أذنب بفعل محرم أو ترك واجب، تذكر من أي باب أُتي، ومن أي مدخل دخل الشيطان عليه، وتذكر ما أوجب الله عليه، وما عليه من لوازم الإيمان، فأبصر واستغفر الله تعالى، واستدرك ما فرط منه بالتوبة النصوح والحسنات الكثيرة، فرد شيطانه خاسئا حسيرا، قد أفسد عليه كل ما أدركه منه"[٨٤].

والله تعالى يقبل توبة التائبين وإن تكرر وقوعهم في الذنوب، فعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، فيما يحكي عن ربه عز وجل، قال: " أذنب عبد ذنبًا، فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبًا، فعلم أن له ربًا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنبًا، فعلم أن له ربا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي

رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبا، فعلم أن له ربا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت فقد غفرت لك "[٨٥] .

وقول الله سبحانه وتعالى في هذا الحديث "اعمل ما شئت فقد غفرت لك" ليس معناه أن العبد يعصي كما يريد، وإنما المعنى: أنه كلما وقع في ذنب ندم واستغفر محسنًا ظنه بالله تعالى أنه يغفر الذنب ويقبل التائبين، فإن الله تعالى يغفر له وإن تكرر ذلك، طالما أنه صادق في كل مرة يتوب فيها عازم على ترك المعصية غير مُصر عليها[٨٦]، قال النووي: "لو تكرر الذنب مائة مرة أو ألف مرة أو أكثر وتاب في كل مرة قبلت توبته وسقطت ذنوبه ولو تاب عن الجميع توبة واحدة بعد جميعها صحت توبته "[٨٧].

وجاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: " ما من عبد مؤمن إلا وله ذنب يعتاده: الفينة بعد الفينة، أو ذنب هو مقيم عليه لا يفارقه حتى يفارق، إن المؤمن خلق مفتنًا توابًا نسيًا إذا ذكر ذكر "[٨٨].

فالمؤمن يحصل منه الغفلة والنسيان والوقوع في الخطأ، ولكنه إذا تذكر رجع من ذنبه، وحديث ابن عباس ﷺ ليس فيه التشجيع على فعل المعصية، ولا الإقدام عليها، بل هو لتطمين التائبين بأنه من فعل ذنباً فإنه يجب عليه أن لا يقنط من رحمة ربه، فقد دعاه الجليل سبحانه لذلك فقال: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ الزمر: ٥٣

ومما في هذه الآية الكريمة مما يفتح باب الأمل للتائبين ممن أسرفوا على أنفسهم بالمعاصي [٨٩]:

١. إقباله سبحانه عليهم وفي ذلك منتهى الاطمئنان لهم لمحو ما سبق لهم من ذنوب، والإشعار بأن أمامهم مندوحة من الوقت لاستدراك ما فرط ورأب ما انصدع.
٢. نداؤهم، وفي ذلك من التودّد إليهم والتلطف بهم ما يهيب بذوي المسكة من العقول منهم إلى المبادرة بالإنابة والرجوع بالتوبة.
٣. إضافتهم إليه بياء الإضافة فقال: ﴿ يَٰعِبَادِيَ ﴾ إضافة تشريف لهم، وأنهم خلقاء بآصرة العبودية، وذلك كاف لمقابلتهم ذلك بالمثل وإعلان التوبة للازدلاف إليه بها، وشرف الإضافة إليه يفيد الأمن من العذاب لمن تاب منهم وأناب.
٤. سمَّى سبحانه المذنب بالعبد والعبودية مفسرة بالحاجة والذلة والمسكنة، واللائق بالرحيم الكريم إفاضة الخير والرحمة على المسكين المحتاج.

٥. الكريم إذا دعا الناس إلى بابه، فإنه يكرمهم إن أتوه غاية الإكرام، فكيف بأكرم الأكرمين ﷻ، الذي دعا العاصين إلى بابه ومغفرته ورحمته، فما أهنأهم بفضله وإحسانه إن استجابوا لدعوته سبحانه وتعالى.

٦. في قوله سبحانه ﴿ رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ إضافة الرحمة إلى أخص أسمائه تعالى وأجلها، تأكيد أن الرحمة هي الأصل في معاملته لعباده.

٧. قوله سبحانه: ﴿ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ نهي لهم عن القنوط فيكون هذا أمرا بالرجاء والكريم إذا أمر بالرجاء فلا يليق به إلا الكرم.

٨. لما قال سبحانه ﴿ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ لم يقل بعدها (إنه يغفر الذنوب جميعا)، بل أعاد اسم الله وقرن به لفظة إن المفيدة لأعظم وجوه التأكيد، وكل ذلك يدل على المبالغة في الوعد بالرحمة.

٩. لو قال سبحانه (إنه يغفر الذنوب) لكان المقصود حاصلا، لكنه جل وعلا أردفه باللفظ الدال على التأكيد فقال جميعا، وهذا من المؤكدات لمغفرته للذنوب سبحانه وتعالى.

١٠. وصف سبحانه وتعالى نفسه بكونه غفورا، ولفظ الغفور يفيد المبالغة، ووصف نفسه بكونه رحيما والرحمة تفيد فائدة على المغفرة فكان قوله إنه هو الغفور إشارة إلى إزالة موجبات العقاب، وقوله الرحيم إشارة إلى تحصيل موجبات الرحمة والثواب.

١١. قوله عز وجل إنه هو الغفور الرحيم يفيد الحصر، ومعناه أنه لا غفور ولا رحيم إلا هو، وذلك يفيد الكمال في وصفه سبحانه بالغفران والرحمة.

ففتح سبحانه أبواب رحمته وغفرانه وفضله لمن أسرفوا في العصيان ولم يتركهم أسرى ذنوبهم وأخطائهم؛ فاتحًا بذلك لهم أبواب الأمل والرجاء بحياة جديدة سعيدة بطاعة الله تعالى.

والتائب الذي يكثر الرجوع إلى الله تعالى والتضرع والتذلل والتمسكن إليه طلبًا للمغفرة والرحمة والعافية من بلائه الذي بسببه يعود كثيراً للمعصية، فإن الله سبحانه يحب منه هذا التضرع والتمسكن؛ فقد مدح الله تعالى إبراهيم عليه السلام، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ هود: ٧٥، والأواه : هو الذي يكثر التضرع والتأوه شفقًا وفرقًا، وأصلها يدل على التحزن، فكل كلام يدل على حزن يقال له: التأوه، ويعبر بالأوَّاه عمن يظهر خشية الله تعالى[٩٠].

ووصف الله تعالى لإبراهيم عليه السلام بأنه منيب، أي الرجاع إلى الله بمعرفته ومحبته، والإقبال عليه، والإعراض عمن سواه[٩١]، وأما الأصل في معنى المنيب، فإنه الراجع إلى الله بالتوبة من التقصير، فإذا

انحرف أو شغله شاغل ابتدر الرجوع إلى ما كان فيه من الاستقامة والامتثال فلا يفارقه حال الطاعة، وإذا فارقه قليلًا آب إليه وأناب، فهو ذو رجوع متكرر لطاعة الله تعالى(٩٢)، وذلك كما في قوله تعالى : ﴿تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ۝٨﴾ ق: ٨ ، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ۝٢٧﴾ الرعد: ٢٧.

وعلى التائب مع دعائه وتضرعه واستغفاره أن يعمل بالأسباب التي تعينه على ترك المعصية وعدم الوقوع فيها، ومنها بالنسبة لمن تعلق قلبه بفتنة النساء والمواقع الإباحية، أن يستفيد من المتخصصين النفسيين في علاج إدمان المواقع الإباحية، وجهود بعض الجهات المتخصصة في التوعية بأضرار الإباحية وكيفية التعافي من إدمانها(٩٣)، فقد ثبت علميًا تأثر دماغ من أدمنوا مشاهدة الصور الإباحية، حتى أصبحوا كمن أدمن المواد المخدرة(٩٤)، مما يؤكد حاجة التائب الذي طال أمد مشاهدته للمواد الإباحية إلى مزيد من المجاهدة والصبر وبعض الأساليب العلاجية السلوكية التي تساعده على الشفاء من هذا البلاء، وذلك من رحمة الله تعالى أن جعل لكل داء دواء، كما في حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: " ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاءً"(٩٥)، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله:" لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل"(٩٦).

ومن أهم أسباب تزكية النفس مما فيها من نقائص وعيوب والثبات على طاعة الله تعالى، الإقبال على القرآن الكريم تلاوةً وتدبرًا، ففيه أعظم الهداية من جميع أنواع الضلالات، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ۝٨٩﴾ النحل: ٨٩ ،

وقال سبحانه: ﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٖ ۝١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢﴾ النمل: ١ – ٢، وقال جل وعلا: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٢﴾ الشورى: ٥٢، فسمّى الله تعالى كتابه روحًا لأنه يفيد الحياة من موت الجهل أو الكفر (٩٧)، كما قال تعالى ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٢٢﴾ الأنعام: ١٢٢، وسمَّاه نورًا لكونه سببًا لوقوع نور الإيمان في القلوب ولأنه تتبين به الأحكام كما تتبين بالنور الأعيان (٩٨) ، والقرآن الكريم شفاء "للقلوب والأبدان"(٩٩)، كما قال الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ۝٨٢﴾ الإسراء: ٨٢، و﴿ مِنَ ﴾ في الآية الشريفة "لبيان الجنس لا للتبعيض، هذا

أصح القولين"[١٠٠]، وإذا كان بعض الكلام له خواص ومنافع مجربة، فكيف بكلام رب العالمين، الذي فضله على كل كلام كفضل الله على خلقه، فالقرآن الكريم هو الشفاء التام، والعصمة النافعة، والنور الهادي، والرحمة العامة، الذي لو أنزل ظل على جبل لتصدع من عظمته وجلالته[١٠١]، وقد وقف الباحث على من كان مريضا بشهوة النظر للحرام وإدمان مشاهدة المواقع الإباحية سنين طويلة مع أنه متزوج، فشفاه الله تعالى وطهَّر قلبه من بلائه برقيته لنفسه بسورة الفاتحة.

مع أهمية التدبر في آيات القرآن الكريم، وهو "حضور القلب وجمع الهم وقت تلاوته"[١٠٢]، فقد بيَّن سبحانه وتعالى أن الحكمة من إنزال القرآن الكريم، أن يتدبر الناس آياته، فيستخرجوا ما فيها من هدايات وعلوم عظيمة، ويتأملوا أسرارها وأحكامها، قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩ ﴾ ص: ٢٩، يقول القرطبي" وفي هذا دليل على وجوب معرفة معاني القرآن"[١٠٣]، فبمعرفة معاني الآيات والتأمل فيها يتمكن القارئ من الانتقاع بها، ويتأثر قلبه، فتزكو نفسه، وتستقيم جوارحه.

الخاتمة

فهذا ما وفق الله إليه الباحث ويسره من عنده عز وجل في هذا البحث، ويمكن استخلاص أبرز نقاطه وأهم نتائجه والتوصيات فيما يأتي:

أولًا: النتائج:

١) القرآن الكريم مفتاح لكل خير وسعادة في الدنيا والآخرة، وهو أعظم مصدر للأمل وانشراح الصدر وطمأنينته، ومن أقبل عليه تلاوةً وتدبرًا وعملًا مخلصًا لله نال تلكم البركات.

٢) الإسلام دين إيجابي يدعو للأمل ورجاء ما عند الله من الخير والرحمة.

٣) اليأس والقنوط يدور معناهما حول عدم توقع الخير، وأنه لا يمكن أن تتغير أحوال الإنسان أو تتغير عاداته السلبية، وذلك كله يناقض حسن الظن بالله تعالى وضد الأمل بالله تعالى وفضله العظيم.

٤) اليأس والقنوط من كبائر الذنوب التي لا تكفرها إلا التوبة النصوح.

٥) أهمية الأمل والتفاؤل وحسن الظن بالله مهما اشتد البلاء، فإن الله غالب على أمره وهو أرحم الراحمين.

٦) المتقي ليس بمعصوم من الخطأ، بل يحصل منه الغفلة والضعف، فإذا أذنب تذكر وفاق من غفلته؛ فأبصر واستغفر الله تعالى، واستدرك ما فرط منه بالتوبة النصوح والحسنات الكثيرة، فرد شيطانه خاسئًا حسيرًا، قد أفسد عليه كل ما أدركه منه.

٧) أن الله تعالى يقبل توبة التائبين وإن تكرر وقوعهم في الذنوب، وعلى التائب أن يعمل بالأسباب التي تعينه على ترك المعصية وعدم الوقوع فيها.

ثانيًا: التوصيات:

١) عمل المزيد من الدراسات القرآنية لدراسة حالات جالبة لليأس عالجها القرآن الكريم.

٢) عمل دراسات قرآنية لاستنباط مقومات صناعة الأمل والوقاية من اليأس والقنوط وربطها بالواقع وما فيه من تحديات وأزمات.

٣) أهمية إبراز جمال تشريعات الإسلام ومنها ما يتضمنه من نصوص قرآنية باعثة للأمل ومانعة من اليأس والقنوط.

هوامش البحث:

---

(١) المنهج الاستقرائي: هو منهج يقوم على التتبع لأمور جزئية مستعانا على ذلك بالملاحظة والتجربة وافتراض الفروض لاستنتاج أحكام عامة منها. ينظر: الربيعة، **البحث العلمي**، ط٦، ١٧٨/١.

(٢) المنهج التحليلي: هو منهج يقوم على دراسة الإشكالات العلمية، المختلفة، تفكيكا، أو تركيبا، أو تقويما. ينظر: فريد الأنصاري، **أبجديات البحث في العلوم الشرعية**، ط١، ص٩٦.

(٣) المنهج الاستنباطي: هو منهج يقوم على التأمل في أمور جزئية ثابتة؛ لاستنتاج أحكام منها . ينظر : الربيعة، **البحث العلمي**، ط٦، ١٧٨/١.

(٤) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، مادة "يأس"، د.ط، ١٥٣/٦.

(٥) ينظر: الفيروزآبادى، **القاموس المحيط**، مادة (اليأس واليآسة) ،ط٨، ٥٨٢/١. ابن فارس، **مجمل اللغة**، ،مادة "يأس"، ط٣، ص (٩٤١).

(٦) ابن الجوزي، **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، ط١،ص(٦٣٣)

(٧) الأزهري ، **تهذيب اللغة** ، مادة (قنط)، ط١ ، ٢٥/٩.

(٨) الفيومي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير** ، مادة (قنط) ، د.ط، ٥١٧/٢

(٩) ينظر: ابن الجوزي، **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**،ط١ ، صفحة رقم (٦٣٣) .

(١٠)ينظر: السلمي، **شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال**، ط١، ص (١٢٠).

(١١)ينظر: الرازي، **التفسير الكبير**،ط٣، ٥٧٢/٢٧.

(١٢) ينظر: العسكري، **معجم الفروق اللغوية**، مادة "الفرق بين القنوط والخيبة واليأس"، ط١، ص (٤٣٥).

(١٣) ينظر: الشوكاني، **فتح القدير**، ط١ ، ١٦٢/٣. البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ط١، ٢١٣/٣.

(١٤) ينظر: القيرواني، **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره**، ط١، ٣٦٢٢/٥. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط٢، ٤٠٦/٤. ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ط١، ٢٧٤/٣. لجنة من علماء الأزهر، **المنتخب في تفسير القرآن الكريم**، ط١٨، صفحة رقم (٣٩٦).

(١٥) ينظر: النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ط١، ٩٥/٣.

(١٦) ينظر: الرازي، **التفسير الكبير**، ط٣، ٥٧٢/٢٧. الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ط٣، ٢٠٥/٤.

(١٧) أخرجه أحمد في **المسند**، مسند فضالة بن عبيد الأنصاري، ط١ ،٣٦٨/٣٩ ، الرقم (٢٣٩٤٢)، وصححه الألباني في **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، (٢ / ٨١).

(١٨) أخرجه الطبراني في **المعجم الكبير** ، باب (العين)، ط٢، ١٥٦/٩ ، رقم (٨٧٨٣) ، وصحح إسناده الهيثمي في **مجمع الزوائد**، ١٠٤/١ ، رقم (٣٩٢).

(١٩) ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**،ط٢، ١٦٠/٥.

(٢٠) مفهوم المخالفة: هو أن يثبت الحكم في المسكوت على خلاف ما ثبت في المنطوق ، ينظر: الجرجاني ، **التعريفات**، ط١، صفحة (٢٢٤).

(٢١) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** ، ط١ ، ص (٤٠٤).

(٢٢) أخرجه ابن حبان في **صحيحه**، ط١، كتاب الرقاق، باب ذكر البيان بأن الله جل وعلا يعطي من ظن ما ظن إن خيرا فخير وإن شرا فشر، ٤٠٥/٢، رقم (٦٣٩)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب ، ٣٢٣/٣.

(٢٣) ابن أبي شيبة، **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، كتاب الزهد، باب كلام ابن مسعود رضي الله عنه، ط١ ،١٠٨/٧.

(٢٤) القشيري ، **لطائف الإشارات** ، **ط٣**، ٣٧/٢.

(٢٥) ينظر: الواحدي ، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ط١ ، ص (٣١٥). ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** ، ط٢، ٧٧/٣ . البغوي ، **معالم التنزيل في تفسير القرآن** ،ط٤، ٣٦/٣ .

(٢٦) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير** ،د.ط، ١٧٨/٢-١٧٩.

(٢٧) أخرجه البخاري في **صحيحه**، ط١ ، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب المهاجرين وفضلهم ، ٤/٥ ، رقم (٢٦٥٣).

(٢٨) ينظر: الرازي، **التفسير الكبير**، ط٣، ٥٢/١٦.

(٢٩) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، د.ط، ٤٨٠/١٧.

(٣٠) أبو البقاء، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، فصل "الألف والتاء"، د.ط، ص (٣٤).

(٣١) ينظر: العسكري، **معجم الفروق اللغوية**، مادة "الفرق بين البلاء والابتلاء"، ط١، ص (١١).

(٣٢) ابن القيم، **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، د.ط، ص (٣٥). البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، د.ط ، ٢٢٠/٢٠.

(٣٣) ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ط١، ٢٦٨/١٦. القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ط٢، السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ط١، ص (٦٢٦).

(٣٤) ينظر: الرازي، **التفسير الكبير**، ط٣، ١٢٩/٤ . السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ط١، ص (١٦٠).

(٣٥) ينظر: الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، د.ط، ١١٩٥٦/١٩.

(٣٦) ينظر: النعماني، **اللباب في علوم الكتاب**، ط١، ٥٠٩/١٥.

(٣٧) ينظر: الشوكاني، **فتح القدير**، ط١، ٣٠٥/٤.

(٣٨) ينظر: البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ط٤، ٣٣١/٦.

(٣٩) البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ط٤، ٣٣١/٦.

(٤٠) الخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، ط١، ٤١٦/٣.

(٤١) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ط٢، ١٤٦/١٤.

(٤٢) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط٢، ٣٩٢/٦.

(٤٣) أخرجه أحمد في **المسند**، أول مسند الكوفيين ﷺ، ط١ ،٦٢٥/٣٠ ، الرقم (١٨٦٩٤)، وحسن إسناده ابن حجر في **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، د.ط، ٤٥٧/٧.

(٤٤) الرازي، **التفسير الكبير**،ط٣، ١٦٤/٢٥.

(٤٥) ابن حيان، **البحر المحيط في التفسير**، د.ط، ٤٦٩/٨.

(٤٦) الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ط١ ، ٢٤٣/٢٠.

(٤٧) الشوكاني، **فتح القدير**، ط١ ، ٣١٦/٤.

(٤٨) الشوكاني، **فتح القدير**، ط١ ، ٣١٦/٤.

(٤٩) ينظر: الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، د.ط، ٦٦٢/٢.

(٥٠) ابن القيم، **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، ط١ ، ٨٤٧/٢-٨٤٨.

(٥١) ينظر: ابن القيم، **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة** ، ط١ ، ٨٤٨/٢-٨٥٣.

(٥٢) أخرجه مسلم في **صحيحه**، د.ط، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، ٢٢٩٥/٤ ،الرقم (٢٩٩٩).

(٥٣) ينظر: الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ط٣ ، ٦٣٣/٢. السعدي، **الوسائل المفيدة للحياة السعيدة**، ط٢، ص(١٣).

(٥٤) ابن القيم، **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي**، ط١ ، ص (٢٥).

(٥٥) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**،د.ط، ٣٦٢/٧، ٣٤٢/١٧ . الرازي، **التفسير الكبير**، ط٣ ، ٥٨/١٣.

(٥٦) القشيري، **لطائف الإشارات، ط٣**، ٢٠٣/١.

(٥٧) ينظر: ابن القيم، **تفسير القرآن الكريم لابن القيم**، ط١، ص (٣٣٦) . العليمي، **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، ط١، ٤٩٣/٣. المراغي، **تفسير المراغي**، ط١ ،١٣/١٠٠-١٠١.

(٥٨) أخرجه البخاري في **صحيحه**، ط١، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ آل عمران: ٢٨، ١٢١/٩، رقم (٧٤٠٥).

(٥٩) ينظر: ابن أبي زمنين، **تفسير القرآن العزيز**، ط١، ٤٠٤/٣.

(٦٠) ينظر: البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**،ط١، ٨٥/٥/٣. النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ط١ ٢٦٢/٣.

(٦١) ينظر: ابن القيم، **زاد المعاد في هدي خير العباد** ، ط٢٧ ، ٣٢٣/٤.

(٦٢) ابن القيم: **إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان**، ط١، ٧٢/١.

(٦٣) الجرجاني، **التعريفات**،ط١، ص (٧٠).

(٦٤) ابن القيم، **تفسير القرآن الكريم لابن القيم**، ط١ ، ٦٤٩/١.

(٦٥) ينظر: ابن القيم، **مدارج السالكين**، ط٢، ٤٦٤/٣.

(٦٦) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**،ط٢، ١٤٨/١٧.

(٦٧) أخرجه مسلم في صحيحه، د.ط، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر ، ٣٦/١.

(٦٨) ينظر: البغوي ، **معالم التنزيل في تفسير القرآن** ،ط٤، ١٥١/٣.

(٦٩) أخرجه الترمذي في **السنن**، ط٢ ، أبواب القدر، باب ما جاء في الرضا بالقضاء، ٤٥٨/٤، رقم (٢١٥٦)، والحديث صححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي ، ١٥٦/٥.

(٧٠) ابن القيم، **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة** ، د.ط ، ٢٩٩/١.

(٧١) ينظر: ابن حيان، **البحر المحيط في التفسير** ، د.ط، ٤٦٩/٨ . السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ط١ ، ص (٤٣٧).

(٧٢) ينظر: المراغي ، **تفسير المراغي** ، ط١ ،٨/١٢ . أبو السعود، **تفسير أبي السعود**، د.ط، ١٩٠/٤. السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ط١، ص (٣٧٨).

(٧٣) الشوكاني، **فتح القدير**، ط١ ، ٥٢١/٤.

(٧٤) الواحدي، **التفسير البسيط**،ط١، ٤٢٧/٣.

(٧٥) **ينظر**: القصاب، **النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام**، ط١، ٤٩٠/٢. الواحدي، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ط١ ، ص (٧٦١). ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** ، ط٢، ٤١/٦.

(٧٦) القنوجي، **نيل المرام من تفسير آيات الأحكام**، د.ط، ص (٣٩٣).

(٧٧) ينظر: الرازي، **التفسير الكبير**، ط٣ ، ٣٦٨/٩-٣٦٩. ابن حيان، **البحر المحيط في التفسير**، د.ط، ٣٤٩/٣. ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، د.ط، ٩٢/٤-٩٣. الواحدي، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ط١، صفحة رقم (٢٣٢). السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ط١، ص (١٤٨).

(٧٨) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط٢، ١٢٥/٢.

(٧٩) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط٢، ٥٨٨/١.

(٨٠) ينظر: المراغي، **تفسير المراغي** ، ط١، ١٢٣/١٢.

(٨١) الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ط١، ٥٤٧/١.

(٨٢) ابن عاشور، **التحرير والتنوير** ،د.ط، ٢٣٢/٩.

(٨٣) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير** ،د.ط، ٢٣٢/٩.

(٨٤) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ط١ ، ص (٣١٣).

(٨٥) أخرجه البخاري في **صحيحه**، ط١، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ﴾ الفتح: ١٥، ١٤٥/٩ ، رقم (٧٥٠٧). ورواه مسلم **في صحيحه**، واللفظ له،كتاب التوبة، باب "قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب"، د.ط، ٢١١٢/٤، رقم (٢٧٥٨).

(٨٦) ينظر: العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، د.ط، ١٦٣/٢٥. ابن باز، **مجموع فتاوى ومقالات ابن باز**، د.ط، ٢٩٨/٦.

(٨٧) النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ط٢، ٧٥/١٧.

(٨٨) أخرجه الطبراني في **المعجم الكبير**، باب (العين)، أحاديث عبد الله بن عباس ﷺ، ط٢، ٣٠٤/١١، رقم (١١٨١٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم (٥٧٥٣).

(٨٩) ينظر: الرازي، **التفسير الكبير**، ط٣، ٤٦٥/٢٧.درويش، **إعراب القرآن وبيانه**، ط٤، ٣٣٣/٥. القشيري، **لطائف الإشارات**، ط٣، ٢٨٧/٣.

(٩٠) ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ط١، ٤٩٣/١٢. السجستاني، **غريب القرآن**، ط١، ص (٦٢). الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، مادة "أوه"، ص (١٠١).

(٩١) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ط١، ص (٣٨٦).

(٩٢)ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، د.ط، ٢٩١/٢٦، وكذلك ٩٥/٢١. ابن قتيبة، **غريب القرآن**، د.ط، ص (٣٤١). الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ط٣، ٤١٢/٢. الشوكاني، **فتح القدير**، ط١، ٥٨٠/٢. السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ط١، ص (٦٧٥).

(٩٣) مثل موقع واعي لعلاج إدمان الإباحية: https://www.antiporngroup.com/

(٩٤) ينظر: المكتبة الوطنية الأمريكية للطب، دراسة علمية عن تأثير المواد الإباحية على الأعصاب، https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC4600144/ .

والمجلة الأمريكية المتخصصة بعلوم الأعصاب، مقالة عن تأثر الدماغ من إدمان مشاهدة الإباحية، /https://neurosciencenews.com/neuroscience-pornography-brain-15354

(٩٥) أخرجه البخاري في **صحيحه،** ط١ ، كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء ، ١٢٢/٧،رقم (٥٦٧٨).

(٩٦) أخرجه مسلم في **صحيحه،** د.ط، كتاب السلام، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي ، ١٧٢٩/٤، رقم (٢٢٠٤).

(٩٧) ينظر: الرازي، **التفسير الكبير،** ط٣، ٦١٤/٢٧.

(٩٨) أبو الفداء، **روح البيان،** د.ط، ٣٣٣/٢.

(٩٩) البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،** د.ط، ٤٩٧/١١.

(١٠٠) ابن القيم، **زاد المعاد في هدي خير العباد،** ط٢٧، ١٦٣/٤.

(١٠١) ينظر: ابن القيم، **زاد المعاد في هدي خير العباد** ،ط٢٧، ١٦٢/١-١٦٣.

(١٠٢) الخازن ، **لباب التأويل في معاني التنزيل**،ط١، ١٤٧/٤-١٤٨.

(١٠٣) القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن**،ط٢، ١٥/.١٩٢.

المصادر والمراجع

- الألباني، أبو عبد الرحمن مُحَمَّد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ط١ (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ) .
- الألباني، أبو عبد الرحمن مُحَمَّد ناصر الدين، صحيح الترغيب والترهيب،ط١ (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠)
- الألباني، أبو عبد الرحمن مُحَمَّد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزياداته، د.ط (د.م: المكتب الإسلامي،د.ت)
- الألباني، أبو عبد الرحمن مُحَمَّد ناصر الدين، صحيح سنن أبي داود، ط١ (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٩٩٨) .
- الألباني، أبو عبد الرحمن مُحَمَّد ناصر الدين، صحيح سنن الترمذي، ط١ (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠) .
- البخاري، أبو عبدالله مُحَمَّد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ط١ (د.م: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ) .
- البغا، مصطفى ديب ، ومستو ، محيي الدين ديب، الواضح في علوم القرآن، ط٢ (دمشق: دار الكلم الطيب، ١٩٩٨) .
- البغوي، أبو مُحَمَّد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ط٤ (المدينة المنورة: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٧)
- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن مُحَمَّد الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، تحقيق مُحَمَّد عبد الرحمن المرعشلي، ط١ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ) .

- الترمذي، أبو عيسى مُحَمَّد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، سنن الترمذي ، تحقيق أحمد مُحَمَّد شاكر ومُحَمَّد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، ط٢ (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٧٥) .
- الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن مُحَمَّد بن إبراهيم، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ط١ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٢) .
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد، زاد المسير في علم التفسير، ط١ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ) .
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ط١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤) .
- الحاكم، أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد بن حمدويه، المستدرك على الصحيحين ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠) .
- ابن حبان، مُحَمَّد بن حبان بن أحمد، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨)
- أبو حيان، مُحَمَّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، د.ط(بيروت: دار الفكر،١٤٢٠هـ)
- أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي، سنن أبي داود ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومُحَمَّد كامل قره بللي، ط١ (د.م: دار الرسالة العالمية، ٢٠٠٩) .
- الرازي، أبو عبد الله مُحَمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، التفسير الكبير، ط٣ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ) .
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط٣ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ) .
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠) .
- الشوكاني، مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عبد الله، فتح القدير، ط١ (بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ١٤١٤هـ) .
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، المعجم الكبير، ط٢ (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، د.ت) .
- الطبري، مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر، جامع البيان في تأويل القرآن ، تحقيق أحمد مُحَمَّد شاكر، ط١ (د.م: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠) .
- ابن عاشور، مُحَمَّد الطاهر بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الطاهر، التحرير والتنوير، د.ط (تونس: الدار التونسية للنشر،١٩٨٤)
- ابن عطية، أبو مُحَمَّد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي مُحَمَّد، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ) .

- الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر مُحَمَّد بن يعقوب، القاموس المحيط، ط٨ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٥) .
- القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي، الفروق، د.ط (د.م: عالم الكتب، د.ت)
- القرطبي، أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، الجامع لأحكام القرآن، ط٢ (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦٤) .
- القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، لطائف الإشارات، ط٣ (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت).
- القيرواني، أبو مُحَمَّد مكي بن أبي طالب حموش بن مُحَمَّد بن مختار القيسي، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، ط١(د.م: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة الشارقة، ٢٠٠٨).
- ابن قيم الجوزية، مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق مُحَمَّد المعتصم بالله البغدادي، ط٢ (بيروت: دار الكتب العربي، ١٩٩٦) .
- ابن قيم الجوزية، مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ، زاد المعاد في هدي خير العباد، ط٢٧ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤)
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم ، تحقيق سامي بن مُحَمَّد سلامة، ط٢(المدينة المنورة:دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩)
- المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، ط١ (مصر:شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده،١٩٤٦)
- ابن منظور، مُحَمَّد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين، لسان العرب، ط٣ (بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ)
- النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين، مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، تحقيق يوسف علي بديوي، ط١ (بيروت: دار الكلم الطيب، ١٩٩٨) .
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري، صحيح مسلم ، تحقيق مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، د.ط(بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)
- الهروي، أبو منصور مُحَمَّد بن أحمد بن الأزهري، تهذيب اللغة ، ط١ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١) .
- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن مُحَمَّد بن علي، التفسير البسيط، ط١ (د.م: جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود، ١٤٣٠هـ)
- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن مُحَمَّد بن علي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط١ (بيروت: دار القلم ، الدار الشامية، ١٤١٥هـ)